مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 9/العـــدد: 03 (2020)، ص 72- 81

قراءة تفعيلية للمقاربات اللغوية العربية التراثية في تحليل الخطاب بين المفاهيم و التجليات.

الأستاذة: صبرينة محمد بلقاسم.[1]
[1]جامعة وهران 01- الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2021/07/28 تاريخ القبول: 2021/10/14 تاريخ النشر:2021/12/01

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية اشكالية الدفع قدما بالاطر النظرية التراثية الالسنية العربية في مناهج تحليل الخطاب بغية الكشف عن مدى حضور البعد التداولي للدلالات و التنقيب عن قصدية النص و مدى انسجامها مع تراتبيات المعاني و سلم القيم الذي يكشف عنه المنطوق اللغوي.خاصة و ان تحديات ما بعد الحداثة جعلت من ثنائية الخطاب و الهوية معادلة حضارية جوهرية.

المقدمة:

ان الخطاب واجهة حضارية كونه يعكس تراتبيات فكرية و يصوغ الدلالات المعنوية ،و يهبها تجسيدا ألسنيا. لتكون بذلك الإحالة الى المرجعيات سقفا اكاديميا تشتغل عليه المقاربات اللسانية و تتخصص فيه السيميولوجيا كفرع معرفي و علمي متخصص في دراسة العلامة اللغوية التي تشكل الوحدة البنيوية للخطاب ممارسة وظيفتها ضمن النظام النصي.كاشفة عن الاستراتيجية الخطابية من حيث وجود وحدة دلالية او الانفتاح على سيرورة تعدد المعنى .و لقد أسهمت المقاربات العربية الدلالية و النحوية و البلاغية في التقعيد لاصول البحث المنهجي في تحليل الخطاب.سعيا للكشف عن دلالات الخطاب و قصديته و ما مدى انجازية او تداولية معانيه و عليه نطرح الاشكال التالي ما هي التجليات المفاهيمية للمقاربات اللغوية التراثية في اطار تحليل الخطاب .

المنارة للاستشارات

التحليل:

عنى العرب بالخطابة ، عناية سؤدد ومهابة، وما انفكوا عنها إلا بتلاشي البلاغة، وفشو اللحن، وانتشار الركاكة، وخلطة العجمة وللجاهلية كمحطة تاريخية ما حفلت به من اشتهار الخطابة، واحتدام صيتها، وقوة سلطانها بدافع العصبية، والتعصب للقبيلة، ونزعة التناحر، وطلب التملك الذي كان مفتاح الهرج في الخصومات والنزاعات فما قد رافقها من تحكيم وإصلاح بين القبائل. " وخطب العرب ضربان: **طوال وافية وقصار كافية**، ولكل مقام ما يليق به قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ فقال : نعم ليسمع منهم فقيل له فهل كانت توجز : قال نعم ليحفظ عنهم وقد مدحوا الإطالة في مكانها كما مدحوا الإيجاز في مكانه... يروى أن قيس بن خارجة بن سنان قيل له في شأن الصلح بين عبس وذبيان ما عندك في هذه؟ فقال قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب، آمر فيها بالتواصل فأنهى عن التقاطع قالوا: فخطب يوما إلى الليل فما أعاد في خطبته معنى[1] واشتهر الخطيب في مقام التأدية أن يستشرف القوم فيستوي قائما أو على منبر أو ربوة قصد استبانة ملامحه والتأثير بمدى صوته معتمدا على عصي أو قوس، وكثيرا ما يبين بتحريكهما عن مقاصده ومن أشهر خطبائهم كعب بن لؤي وذو الأصبع العدواني، قيس بن خارجة خويلد بن عمرو الغطفاني...قيس بن ساعدة الأيادي، وأكتم بن صبغي.

الخطابة في الإسلام:

كانت بداية الدعوة موقفا خطابيا للرسول صلى الله عليه وسلم، ممتثلا قوله تعالى:« **فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** » ، فكانت الاستجابة إنذار العشيرة الأقربين أولا، كما أسهم الكتاب الحكيم والسنة النبوية في تهذيب الخطاب وارتقائه مدارج الاهتداء الأخلاقي من خلال تصفيته والدعوة إلى خلو الصدور من الأحقاد والضغائن

[1] الشيخ علي محفوظ / فن الخطابة وإعداد الخطيب . الجزائر. مكتبة رحاب.بدون سنة ص22،23.

المنارة للاستشارات

والتوسط بين الرجاء والخوف من الاسترسال وراء الافتتان الدنيوي دونما قيد أو ضابط ، فكانت الفضيلة منفرة من النقيصة.وبالجملة فقد كانت الخطابة في الصدر الأول من الإسلام في أسمى طبقات الفصاحة والبلاغة آخذة أسلوبا حيا متينا مؤثرا مع إحكام في الصنعة وحسن افتتاح وجودة اختتام[2].

كما أن الفتوحات الإسلامية مهدت لهم سبل الفتح ومخالطة الأمم ووفرة السلطان، وتوطد السيادة ما كان مدعاة إلى التوسع في الخطابة، " وتلك كانت منزلة الخطابة إلى أول دولة بني أمية ثم بدا يعزوها الوهن ويحفها الفساد من أوساط الدولة المروانية حيث كان استحكم الفساد باللغة العربية بمعاشرتهم للأعاجم[3]"

ويذهب صاحب كتاب **فن الخطابة وإعداد الخطيب** أن أول وهن نخر سلطان الخطابة في الإسلام كان على عهد الوليد بن عبد الملك، وكان قد استحدث الخطابة به جالسا، فاستهين بمكانتها وخر سقفها ومن نبغاء بني أمية زياد بن أبيه، الحجاج ، شيب بن شيبة.

في حين اقترن قيام الدولة العباسية في المشرق،الادريسية في المغرب بتفشي الانقلابات السياسية والفرق فكانت الخطابة وسيلة لتحقيق شأو التشيع للزعماء.

بعد انقضاء هذا العصر، وتولي الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات قصرت الخطابة على الأعياد والمواسم وانجلت سحابتها عن السياسة والنزعة المذهبية مع تناقص العناصر العربية في الجند وقل الارتجال.

وللخطابة أصول:

أولها حسن الافتتاح التنسيق. بيان المقصد .تقسيم الخطاب مع تحري أجزائه، واستمالة العقول بتصديق القضايا عن طريق الإثبات المنضوي على البرهان .وبيان القضية بالمقبولات والمظنونات، وتحري النقض في دحض رأي الخصم مع حسن الانتهاء في الختام و مراعاة الأداء الخطابي.

---

[2] نفس المرجع السابق، ص26.

[3] نفس المرجع السابق، ص28.

المنارة للاستشارات

المقاربة الخلدونية:

مما ذهب إليه **ابن خلدون** في علم البيان: " أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي: إما تصور مفردات تسند ويسند إليها ويفضي بعضها إلى بعض والدلالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والحروف، وأما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة ويدل عليها بتغير الحركات وهو الإعراب وأبنية الكلمات هذه هي كلها صناعة النحو[4]، كما أفرد **ابن خلدون وعيا بالسياق** في قوله:

" من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة **أحوال المتخاطبين** أو **الفاعلين**، وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة وإذا حصلت للمتكلم وقد بلغ غاية الإفادة من كلامه.... ولكل مقام عند العرب مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة[2].

الجمالية الخطابية وقرنها بالذوق واقترانه بالإعجاز القرآني لتحقيق الميل الاصوب في اللغة هو ما عناه العلامة في قوله: " من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه ، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما في ذلك لأنهم **فرسان الكلام** وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه[5]."

المقاربة الجاحظية:

الفكر الخلدوني، طالما ذكر الجاحظ وإسهامه تناقلا عن شيوخه في مجالس التعليم كما قال معتبرا ديوانه أحد أصول " فن علم الأدب الذي من مقصود ثمرته الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم[6]."

---

[4] عبد الرحمان ابن خلدون/ ديوان المبتدأ والخبر وتاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- بيروت دار الفكر 2012.

2 نفس المرجع السابق- ص570.

[5] نفس المرجع السابق ص572.

[6] نفس المرجع السابق ص573.

المنارة للاستشارات

من أهم الاستشكالات التي استوضحها **الجاحظ** في كتابه " **البيان والتبيين**": المعاني وطرق الإبانة عنها، كما نستنبط من كتاباته، عنايته بمفهوم العملية الاتصالية كصفات القائم بالاتصال ذاكرا قصة، موسى عليه السلام، وعقدة اللسان التي استعصت عليه، فكان دعاؤه أن يكون أخاه هارونا، وزيرا، وردءا ، يقول في هذا المقام:

" رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة، لتكون الأعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس إليه أسرع"[7].

كما عني بمقام الخطباء، وعد معايب الخطيب، وأفصح عن الآفات التي قد تعتري لسانه، فتهتك بالمعنى وتصرف الألباب إلى غيره، وتفرق القاصدين لسماعه.

وهو ما يمكن مفهمته بعوائق الخطاب اتصاليا يقول: ليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة، بأعظم مما يحدث من العي من اختلال الحجة يذمون الحصر ويؤنبون العي فإن تكلفا مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب... "[8]

ومن معايب **الخطيب** إلى عيوب **الخطاب** يقول: ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد أعذر ممن يتكلف الخطابة[9].

لينتهي إلى **الخلاصة التالية**: مدار اللائمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد"[10].

ليجعل **البيان** مطلبا خطابيا ، وغاية بلاغية، فالمعاني التي لا تنفك عن حضور في صدور الناس، المساورة لأذهانهم، والمخالجة لخواطرهم تستلزم إفصاحا تحيا به، ذلك ما يتم عن طريق ذكرها، الإخبار عنها، **واستعمالها أي إعطائها بعدا تداوليا** بغية،

---

[7] أبو عثمان الجاحظ/ البيان والتبيين، الجزء 1- تونس- دار المعارف-دار المعارف للطباعة والنشر، بدون سنة، ص26.

[8] نفس المرجع السابق ص36.

[9] نفس المرجع السابق ص26.

[10] نفس المرجع السابق ص27.

المنارة للاستشارات

الإفهام والتجلي، تشترك هذه العناصر في: أن تجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا والبعيد

قريبا وهي التي تخلص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلوقا والمجهول معروفا والوحشي مألوفا، والغفل موسوما والموسوم معلوما، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى"[11].

مؤسسا بذلك **للمقاربة البيانية**، مدرجا غير اللغة أو **منطق الحراك** كآلية استعمال منضوية على معنى كالإشارة بالطرف والحاجب، وحركة اليد والرأس والمنكب ودلالة الثوب، السوط والسيف، الحساب، النصبة ودلالة الصمت.

المقاربة البلاغية:

يذهب " **عبد القاهر الجرجاني**" إلى إعلاء ولاية ترتيب الكلم حين نظمه واعتبار ظاهر الوضع اللغوي ذو صلة بأمر يقع من فؤاد الفرد موقع الحسن، ليدفع حكمه على اللفظ أن يكون حلوا رشيقا وحسنا أنيقا يقول: " أن المعنى الذي له كانت هذه الكلم بيت شعر أو فصل خطاب هو ترتيبها على طريقة معلومة وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة وهذا الحكم- أعني الاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل"[12].

ومن الأسرار البلاغية التي أفصح عنها، استحسان اللفظ ومن شروطه أن يكون من مستعمل لغة الناس ومتداول ألفاظهم، لتنتفي عنه الوحشية والغرابة ويكتسي رداء الألفة.

- **التجنيس** : إيراد لفظين متجانسين، بتقليص فجوة التباعد من حيث المعنى وإن ذم الاستكثار منه إلا بما يخدم المغزى.

- اعتبار الألفاظ خدما للمعاني، فكلما فضل الانتقاء كمل المعنى.

- تقديم سلامة الطبع وسجيته على كثرة السجع.

---

[11] نفس المرجع السابق ص77.

[12] عبد القاهر الجرجاني/ أسرار البلاغة، ط1، جمهورية مصر العربية، دار ابن الجوزي 2006،ص4.

المنارة للاستشارات

- الحرص على سلامة المعنى وأن من محسنات التجنيس والسجع إرسال المعنى على سجيته.

- ذم الحشو الذي لا طائل وراءه.

- أما قوله في التشبيه والاستعارة والتمثيل: " **فإن هذه أصول كبيرة كان جل محاسن الكلام إن لم نقل كلها متفرعة عنها**"[13].

- أما السبيل الأمثل في التراتب لألوان البيان فيقول فيها:

" وأعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر وما يسبق إلى الفكر أن يبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ويتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل ثم ينسق ذكر الاستعارة عليهما".

تشبيه النحو بالملح في الطعام لفساد دلالات المقاصد، بفساد النحو ومن أصول البلاغة عنده تشبيه المعقول بالمعقول... كقول الشاعر:

" أصم عما ساءه سميع"

تنزيل الوجود منزلة العدم " إن غناه فقر".

أما عن حقيقة التشبيه، فمنه الشبه الحاصل بلا تأول والتشبيه الحاصل بضرب من التأول مع تفاوت درجات الحاجة إلى التأول بين التشبيه القريب المأخذ والتشبيه البعيد المأخذ.

أما التمثيل فهو أبلغ عنده تأثيرا من العبارة بغيره، وهو بالمشاهدة يزيد أنسا.

إذا كان الكلام البليغ متوقفا على دقة الفكر فإن التمثيل محوج إلى الفكرة وهو يدخل في باب التلقي من حيث ما لا يدرك إلا بالتعب.

الإدراك الإجمالي أسبق إلى النفوس من التفصيل وهذا الأخير يعني به: النظر من المشبه في أمور لتعتبرها كلها"[14]

كما أفرد قسما من كتابه للتخيلي من المعاني :" وهو الذي لا يمكن أن يقال: إنه صدق وإن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي وهو مفتن المذاهب كثير المسالك "

---

[13] نفس المرجع السابق ص16.

[14] نفس المرجع السابق ص87

المنارة للاستشارات

كقول أبي تمام: **لا تنكري عطل الكريم من الغنى**

فالسيل حرب للمكان العالي.

... ومعلوم أنه قياس تخيل وإيهام لا تحصيل وإحكام[15] "ومن استعمالاته الاحتجاج المتخيل، ولا التعليل التخيلي".

وله في المجاز تفصيل كقول القائل قد زر أزراره على القمر" أنه بلغ بدعواه في المجاز حقيقة".

" وإذا كانت الحقيقة كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع... فإن المجاز كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها"[16].

المقاربة الحجاجية :

الحجاج مطلب خطابي، لا يكاد البناء اللغوي القصدي ينفك عنه من وسائله القياس المثال، الشاهد في إطار دعوة العقل إلى الانسجام مع مبادئه كالسببية وعدم التناقض أو مواءمات العالم الخارجي من تشريعات، ومنظومة قيم هذه الآليات تشترك في إقرار الانسجام الداخلي سواء كانت الحجج جاهزة أو غير جاهزة.

- **القياس الخطابي:** من صورة القياس المضمر Enthymème، وهو يقوم على إضمار إحدى المقدمتين ، والأهم في ذلك قيامه على الرأي والاحتمالات وقد ذكر أرسطو في كتابه هذا النوع من القياس.

- ونمحى ببرلمان Pereleman والبرشت Olbreshts نحو وجود أفكار عامة Lieux communs كفكرتي الكم والكيف.

ومن نماذجه: قياس الأصغر على الأكبر والخاص على العام التضاد والتقدير.

ومن الأقيسة الواردة في القرآن الكريم " قياس الخلف كقول الله تعالى في سورة الأنبياء« : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

---

[15] نفس المرجع السابق ص140.

[16] نفس المرجع السابق ص185- 186 .

المنارة للاستشارات

" ومن مواضيع **البرهان الخطابي** التقسيم المستقصي كقول الحجاج في إحدى خطبه: مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون وشراركم لا يتوبون " فهو يسعى إلى الإيحاء بالإحاطة بالموضوع لصرف نظر المستمع عن البحث والتقصي"[17].

- **المثال:** حجة تقوم على المشابهة ، يقوم مقام الاستقراء في المنطق.

- **الانسجام مع الخارج**: من الوسائل المستعملة فيه الحجج الجاهزة أو غير الصناعية يدخل في نطاقها القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء.

- **الاحتجاج لقضية مختلف فيها :**

التمثيل حالة مشابهة:" في استطراد الحجاج إلى قوله: فإنكم لكاهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"[18].

الاستئناس: خلق جو ديني، هذه الوظيفة غالبة في خطب المناسبات الدنية والاجتماعية.

بالإضافة إلى ترتيب أجزاء القول وهي ثنائية الدعوة العاطفية في جزء من الاستهلال حيث أن الجزء المتبقي منه يستوفي لحظة الإعلان عن التقسيم المبنية عليه سيرورة الخطاب، كما تعرف **الخاتمة** مستويين مستوى **تلخيصي** ومستوى **عاطفي** أما **العرض** فيجمع بين **الاستطراد، التشخيص** مرحلة **البرهنة**.ورغم اعتماد **د. محمد العمري** على ما جاء في كتاب **الخطابة لأرسطو** إلا أن إسقاطاته على الخطابة العربية انتهت به إلى القول: " لا نجد فيما اطلعنا عليه من خطب القرن الأول حرصا على توفر الخطب على نظام معين تظهر فيه المقدمة العرض والخاتمة، وهذا يبين عدم اهتمام

[17] محمد العمري/ في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية – ط2- المغرب، إفريقيا الشرق، 2000 ص80.

[18] نفس المرجع السابق ص83.

المنارة للاستشارات

البلاغيين العرب بتنظير هذا الجانب[19] وهي نتيجة دراسة قد تؤكدها أو تلغيها وقد تعدل منها دراسة لعينة أخرى من الخطب.

الخاتمة:

ان التفعيل الاكاديمي للمقاربات الالسنية العربية التراثية من شانه صقل و ترشيد مناهج تحليل الخطاب خاصة الإعلامي منه كون ان حضارة الصورة و الصوت أصبحت تشكل مشهدا دوليا هاما كما من شان هذه الدراسة ان تمنح بعدا فاعلا في اطر قراءة الاستراتيجيات الخطابية التي أصبحت تتوالى تدفقاتها بشكل مذهل على مسرح الفضاء العمومي الرقمي .

[19] نفس المرجع السابق ص141.

المنارة للاستشارات